الشيعة

التسمية والنشأة

الشيعة في اللغة الشيعة في اللغة، هي اتباع شخص أو قوم لآخر ونصرته، أو هي الموافقة والاتفاق قولا وعملا، جاء في كتب اللغة:

معجم المقاييس: الشين والياء والعين أصلان يدل أحدهما على معاضدة ومساعفة والآخر على بث واشادة ... والشيعة: الأنصار والأعوان، لسان العرب: الشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع.

وجاء استعمال الشيعة ومشتقاتها (الشيع والأشياع في القرآن الكريم بمعناها اللغوي، أي بمعنى قوم اجتمعوا على اتباع دين أو منهج خاص، أو اتباع بعضهم لبعض. نظير ما ورد في اقتتال رجل من بني اسرائيل - عبر عنه القرآن بأنه من شيعة موسى - مع القبطي، كان ابراهيم من شيعة نوح أي أنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق. وليس المراد أن أحدهما يتبع الآخر بنحو تبعية المأموم للإمام والمقود للقائد، بل المراد أن كل من وافق غيره في طريقته فهو من شيعته، تقدم أو تأخر. كما أن القرآن المجيد عد - أحيانا - السابقين شيعة للمتأخرين.

الشيعة في الاصطلاح:

تستعمل لفظة شيعة بدون الألف واللام وقد تأتي معها (من) فيقال شيعة بني أمية أو شيعة فلان ، أما إذا دخل عليها الألف واللام فهو على التخصيص لا محالة لأتباع أمير المؤمنين علي (ع) على سبيل الولاء والاعتقاد بإمامته بعد الرسول بلا فصل ونفي الامامة عمن قدمه في مقام الخلافة.

وقال أبو الحسن الأشعري في تعريف الشيعة: إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا (ع)، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله (ص) والمراد من تقديم علي على سائر الصحابة، هو الاعتقاد بإمامته بلافصل. وقال الشهرستاني في تعريف الشيعة هم الذين شايعوا عليا على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا ووصية. إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم ...

النشأة

أثار هذا الموضوع اهتمام جمع من الباحثين في المذاهب الإسلامية لا سيما مذهب التشيع، وتبلورت في هذا المجال اتجاهات مختلفة، أحدها أن مبدأ التشيع يعود إلى عصر النبي ، وثانيها أنه يعود إلى الأيام الأولى لوفاة النبي (ص).

الاتجاه الأول:

ذهب جمع من المفكرين إلى أن مبدأ التشيع يعود إلى عصر الرسالة، وأن النبي هو أول من غرس بذرته ثم تعاهدها بالسقي والعناية.

وأدلة هذا الاتجاه كالتالي: ١. وردت أحاديث كثيرة عن النبي ، أطلق فيها على جماعة اسم شيعة علي ومدحهم وأثنى عليهم. وكانت هذه الجماعة قد اختصت بعلي بن أبي طالب، ولازمته، وجعلت أقواله وأفعاله أسوة لها، باعتبار أن ذلك مما يرضي الله ورسوله.

٢. أشارت بعض الأخبار التاريخية إلى أن عدداً من الصحابة، عرفوا في عصر الرسالة بشيعة علي كسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار. فإن كلمة شيعة علي وشيعة أهل البيت قد جاءت في كثير من أقوال النبي .

وعند الإمعان في هذا الاتجاه، يتضح أنه ليس المراد منه أن الإمامة وبسبب احتدام الجدل حولها في عصر الرسالة هي التي حزت المسلمين إلى جماعتين اختارت إحداهما إمامة علي فاطلق عليها الشيعة، والأخرى لم تختره، لكي يقال إن المسألة لم تطرح في ذلك الوقت بهذه الصورة، ولم تظهر فيها بوادر النزاع، بل المراد منه أن جماعة من الصحابة عُرفت في عصر الرسالة بشيعة علي ، وأنها أولت عناية كبيرة بالأحاديث النبوية في حق علي وشأنه ومنزلته عند الرسول ، واعتقدت أنه هو المؤهل لشرح وتفسير تعاليم النبي وأسرار حكمه وأحكامه، وأن أتباعه هو في الواقع اتباع للنبي ، لذلك اختصت به ولازمته وبايعته بعد وفاة النبي.

الاتجاه الثاني

ذهب جمع من المحققين والمؤرخين إلى أن تاريخ نشوء الشيعة يعود إلى الأحداث التي أعقبت وفاة رسول الله (ص) والتي اختلف فيها المسلمون في مسألة الخلافة الإمامة، وبعبارة أدق يعود إلى أحداث سقيفة بني ساعدة، حينما برز فيها اتجاهان بشأن خلافة النبي وزعامة المسلمين، ومنذ ذلك الوقت نشأت الشيعة في دنيا الإسلام كمذهب خاص وقد اختار هذا الرأي ابن خلدون في تاريخه،وأحمد أمين المصري في كتاب ضحى الإسلام.

الاتجاه الثالث

ثمة اتجاه آخر طرح في هذا المجال، وهو مشتمل على الاتجاهين السابقي باعتبارهما مرحلتين لحقيقة واحدة، وبناء على ذلك، فليس بينهما - في الحقيقة أي تنافر أو تضاد، بل أن كلا منهما قد تناول المسألة من زاويته الخاصة، والتي هي في حد ذاتها لا تبتعد عن الصواب ولا تخلو من تأييد الشواهد والدلائل الروائية والتاريخية فمفاد الإتجاه الأول، هو أن عقيدة التشيع والميول الشيعية نشأت في عصر الرسالة، أن العقيدة، دون أن يعني ذلك، أن المسلمين

رسول الله (ص) كان أول من طرح هذه انقسموا - منذ ذلك الزمان - إلى فريقين شيعة، وغير شيعة. ومفاد الاتجاه الثاني، هو أن الاختلاف في الإمامة والخلافة، صار سببا لظهور الانقسام بين المسلمين، فهناك جماعة (عرفت بالشيعة) والت عليا ودعت إلى إمامته خلافته، وبالمقابل اختارت جماعة أبابكر خليفة للمسلمين بعد النبي (ص) بلا فصل. وهذا الاختلاف حدث بعد وفاة النبي ، مما أوحى إلى أن مبدأ نشوء الشيعة يعود إلى ذلك التاريخ، ومن الواضح أنه ليس بينهما أي تضاد، بل كل بحسبه على صواب.

وقد تنبه بعض المحققين لا سيما العلامة السيد محسن الأمين إلى هذه النكتة، وهي أن الاتجاهين يمثلان مرحلتين لنظرية واحدة ومنسجمة، فبعد بيانه لنشأة الفكر الشيعي في عصر النبي، وإطلاق اسم الشيعة على جماعة من الصحابة، عرج السيد الأمين على نشأة التشيع في خضم الجدل الذي قام بين المسلمين حول الخلافة، وقال: قد عرفت أنه في عهد رسول الله (ص) كان جماعة يتشيعون لعلي ، ثم ظهر التشيع له عند حدوث الاختلاف في أمر الخلافة يوم وفاة النبي . فقالت الأنصار للمهاجرين: منا أمير ومنكم أمير ، واحتج عليهم المهاجرون بأنهم عشيرته وقومه، وقال له لما بلغه ذلك ما

معناه: إن يكن ما قاله المهاجرون حقا فالحجة لنا دونهم، وإلا : جميع بني هاشم وبني المطلب، وانضم إليه الزبير بن العوام وثلاثة عشر رجلا أو فالانصار على حجتهم، وتشيع يومئذ لعلي اثنا عشر من المهاجرين والأنصار.

وقال هاشم معروف الحسيني : والواقع أن التشيع بما هو فرقة في مقابل جماعة المسلمين لم يكن قبل وفاة الرسول، ولكن المبدأ الذي يرتكز عليه التشيع، وهو نص النبي على استخلاف علي من بعده، كان بعد ولادة الإسلام. ثم استعرض النصوص الدالة على إمامة علية وخلص إلى القول: فالتشيع بمعناه المعروف عند الفقهاء والمتكلمين والمحدثين، والذي تتميز به هذه الفرقة عن فرق المسلمين، ولد في حياة الرسول نتيجة لتلك النصوص التي أوردها المحدثون في كتبهم، وثبت عليه جماعة في الفترة الأولى من تاريخ وفاة الرسول.

ومن المدافعين عن هذا الاتجاه المفكر الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر، حيث فرق بين التشيع والشيعة، مشيرا إلى أن اللبنة الأولى للتشيع قد تم وضعها في عصر الرسالة على يد النبي ، فالتشيع يعني الاعتقاد بأن النبي لم يهمل مصير القيادة الامة الإسلامية بعده، بل أوكله منذ البداية إلى أمير المؤمنين علي، وقد أعده إعدادا خاصا لتسلم هذه المسؤولية الخطيرة، وكان يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة الإسلامية وحقائقها، ويبدؤه بالعطاء الفكري والتثقيف، وكان يعلن ذلك صراحة وعلى مرأى ومسمع جمهور المسلمين في مواطن عديدة.

وقد استند فيما ذكر إلى طائفتين من النصوص: الأولى: النصوص الدالة على المنزلة الرفيعة التي حظي بها علي لدى النبي . الثانية: النصوص الدالة على إمامة علي وزعامته للأمة الإسلامية بعد النبي.

وإليك نماذج من الطائفة الأولى:

١- روى الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن أبي إسحاق، قال: سألت

القاسم بن العباس: كيف ورث علي رسول الله؟ قال: لأنه كان أولنا به لحوقا، وأشدنا به لزوقا .

٢- أخرج أبو نعيم الأصبهاني عن ابن عباس، قال: «كنا نتحدث أن النبي عهد إلى علي سبعين عهدا لم يعهد إلى غيره».

٣ـ أخرج النسائي بسنده عن ابن عباس عن علي، قال:« كانت لي منزلة من رسول الله ، لم تكن لأحد من الخلائق، كنت أدخل على نبي الله كل ليلة، فإن كان يصلي سبح فدخلت، وإن يكن يصلي، أذن لي فدخلت».

٤ـ أخرج النسائي عن علي أيضا أنه كان يقول : «إذا سألت رسول الله أعطيت وإذا سكت ابتدأني».

٥ـ أخرج النسائي عن أم سلمة أنها كانت تقول: «والذي تحلف به أم سلمة أن أقرب الناس عهدا برسول الله علي ».

٦ـ وقال أمير المؤمنين في خطبته القاصعة الشهيرة، وهو يصف ارتباطه الفريد

بالرسول القائد، وعناية النبي بإعداده وتربيته :« وقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به».

إن هذه الشواهد وشواهد أخرى كثيرة تجسد هذه الحقيقة، وهي أن النبي (ص) كان منذ البداية يحمل هموم قيادة الأمة الإسلامية بعده، وأنه أعد عليا إعدادا رساليا باعتباره أفضل الصحابة جميعا لتولي هذه المهمة، ولم يكتف بذلك بل أعلن في مواطن كثيرة عن إمامته، والأحاديث التي تدل على ذلك، هي: حديث يوم الدار،حديث الثقلين حديث المنزلة، حديث الغدير، وأحاديث نبوية أخرى.

وانطلاقا من ذلك، فإن التشيع ليس ظاهرة فكرية طارئة في المجتمع الإسلامي. وإنما هو بناء محكم يقوم على أسس ثابتة ومتينة تعتمد على واقعية الإسلام. ثم أشار الشهيد الصدر إلى كيفية نشوء الشيعة في ظل الخلاف الذي أشتد بين المسلمين بشأن خلافة الرسول (ص) بعد وفاته، وقال: والاتجاهان الرئيسان اللذان رافقا نشوء الأمة الإسلامية في حياة النبي منذ البدء، هما:

أولا: الاتجاه الذي يؤمن بالتعبد بالدين وتحكيمه والتسليم المطلق للنص الديني في كل جوانب الحياة.

وثانيا: الاتجاه الذي لا يرى أن إيمانه بالدين يتطلب منه التعبد إلا في نطاق خاص من العبادات والغيبيات، ويؤمن بإمكانية الاجتهاد، وجواز التصرف على أساسه بالتغيير والتعديل في النص الديني وفقا للمصالح في غير ذلك النطاق من مجالات الحياة... وقد قدر لهذا الاتجاه ممثلون جريئون من كبار الصحابة من قبيل عمر بن الخطاب الذي ناقش الرسول واجتهد في مواضع عديدة خلافا للنص إيمانا منه بأن له مثل هذا الحق.

ثم خلص الصدر إلى القول: وهكذا تعرف أن الاتجاه الذي يمثل التعبد بالنص يمثل الدرجة العليا من الانصهار بالرسالة والتسليم الكامل لها الأمر الذي يفسر لنا ظهور الشيعة كاستجابة لذلك الاتجاه. وأما الاتجاه الآخر في المسلمين الذي قام على الاجتهاد بدلا عن التعبد بالنص، فقد قرر في السقيفة عند وفاة الرسول الأعظم تسليم المرجعية القيادية التي تمارس السلطة إلى رجالات من المهاجرين وفقا لاعتبارات متغيرة ومتحركة ومرنة. (محمد باقر الصدر، نشأة التشيع والشيعة)